الـترويع ، والاقتصاد المنهار ، والغلاء ، سمة يومية في حياة الأردن..

الذي يزور عمان هذه الايام يشد انتباهه ظاهرة واحدة فقط : الجيش، الجيش ، الجيش في كل مكان . ولكن هذا الزائر لن يعرف ماذا يعني وجود الجيش الا اذا كان منتميا للعمل الفدائي او حتى يتعاطف معه .

واذا حصل وتخطى الزائر الامكنة المعهودة التي يقطن فيها الزائرون وتوجه الى الاماكن الفقيرة ، يلاحظ تزايدا في كثافة الجيش ودورياته التفتيشية التي ستضطره الى النزول من السيارة اكثر من ٥ مرات (اذا كان سعيد الحظ) ليجري تفتيشه ولكزه ولزه قبل ان يصل الى المنطقة الفقيرة (الوحدات مثلا) .

ولكنه متى وصل هنالك ستشد انتباهه ظاهرة اخرى : ظاهرة التحدي لكل هذا الترويع والاذلال سيرى اطفال الوحدات يلعبون ببنادق خشبية لعبة « العسكري والحرامي » اي الفدائي والعدو. وسيسمع اطفال الوحدات ينشدون « انا صامد .. صامد » وعيون الامهات ترمقهم باعتزاز وحب .

واذا حصل وبقي الزائر حتى يخيم الظلام على المنطقة سيلاحظ ان الدوريات السيارة قلت ، ولكن سرعتها ازدادت ، وسيلاحظ ان الجالس وراء مدفعه الرشاش المصوب دوما نحو اية حركة تسمع يمينا او شمالا اعصابه مشدودة ويلتفت بعصبية يمنة وشمالا .

وسيسمع دونما شك طلقات مدفع رشاش تدوي لثوان ثم تصمت ليتلوها بعد فترة انفجار .

واذا كان شجاعا ، واصر على البقاء فسيلاحظ ان المنطقة خلت من الدوريات لفترة من الوقت لتعود باعداد كبيرة من السيارات المصفحة التي تبدأ البحث في المنطقة .

واذا خانته شجاعته وقرر العودة الى المناطق « الامنة » سوف يعتقل في لحظة الخروج من المناطق « غير الامنة » !

هذا ما سيلاحظه الزائر لاول مرة ولكن ماذا يلاحظ ويشعر ساكن عمان ؟

ساكن عمان يقول كما قال احد ابناء السلط في عمان : « عاليوم يرجعوا الفدائية » متمنيا ان يعود الوضع كما كان قبل ايلول !

الازمة منذ ايلول

منذ ايلول يعاني الاردن ضيقا اقتصاديا زاده شدة قطع المعونة الليبية ، ولقد كانت شارة الخطر التي اطلقتها بعثة صندوق النقد الدولي بمثابة الانذار النهائي ، ولقد جند وصفي التل كل امكانيات النظام من اجل السيطرة على الوضع السياسي والعسكري في الاردن حتى يصل الى حالة « الاستقرار الاقتصادي » التي راهن ويراهن على انها الحالة التي ستعطيه تاييد كل ذوي المصالح في الاردن ، وذوي المصالح التجارية يشكلون الطبقة التي تضررت اقتصاديا ، من توقف عجلة الانتاج .

ولكن توقعات وصفي التل لم تكن صائبة : فمع « الهدوء » النسبي الذي يسود الاردن الان لم تتحسن الحالة الاقتصادية ، بل على العكس ازدادت سوءا ، ولقد حاولت الحكومة العميلة انقاذ الموقف عبر سلسلة من الاجراءات ، مثل :

■ ١ – طرح سندات الدين العام للاسواق : حاولت من خلاله الحكومة العميلة تغطية جزء من العجز المالي . ولكن بعد شهور من هذا الاعلان ماذا تم ؟ هل ابتاع الاهلون سندات الدين وهل افادتهم الاعلانات التي نشروها في الصحف اللبنانية بطرح سندات بفائدة عالية ؟ وهل تزاحمت المؤسسات الاقتصادية والبنوك لشرائها ؟ الجواب هو الفشل الذريع الذي لاقته محاولة النظام العميل من اجل سد جزء من عجزها .

■ ٢ – زيادة الضرائب : قام النظام بفرض مزيد من الضرائب غير المباشرة لا يتضرر منها الا ذوي الدخل المحدود الذي يعاني من غلاء المعيشة ، ومن ضآلة دخله .

■ ٣ – زيادة الرسوم : زيدت الرسوم التي تحصل على كل المعاملات الحكومية ، ولقد بلغت الزيادة قمتها في رسوم دائرة الجوازات ، بالاضافة الى الرسوم الباهظة التي تحصلها الدولة عن كل سيارة تدخل الاردن قادمة من الخليج (عند الحدود الاردنية العراقية) مما دفع بمعظم العابرين الى تفضيل طريق العراق – سوريا ولو من قبيل النكاية في النظام العميل .

فكل من يتوجه للضفة الغربية يجبر من قبل السلطات الاسرائيلية على ختم جواز سفره باختام الدوائر الاسرائيلية او بدفع ثمانية دنانير ، وعند عودة المواطن من الضفة الغربية ترفض السلطات الاردنية ادخاله اراضيها بسبب الختم الاسرائيلي المدموغ على جواز سفره ، ولقد قامت الحكومة بحل هذا الاشكال قبل ايلول باصدارها جوازات سفر مؤقتة رسومها معقولة نسبيا ، ولكن بعد ايلول ارتفعت هذه الرسوم لتصبح ستة دنانير مما يشكل عبئا على كل من يريد استصدار مثل هذا الجواز .

هذا عدا عن المعاملة السيئة التي يواجه بها المواطنون والاذلال الذي يتعرضون له ، مما يدفع الكثير لعدم استصدار جواز سفر لانفسهم ودفع الثمانية دنانير للسلطات الاسرائيلية !

ولقد حاولت السلطة الحد من تحركات المواطنين الى خارج الاردن ، وذلك من باب « ابقاء المال في الاردن » ورفعت رسوم السفر على المواطنين . فالمسافر خارج الاردن عبر المطار يدفع ثلاثة دنانير اردنية والمسافر براً يدفع دينارا وعشرة قروش . وكان المسافر العادي هو الذي ضعضع اقتصاد الاردن عبر ما ينفقه في الخارج وليس اصحاب رؤوس الاموال والحاكمين انفسهم هم الذين هربوا ويهربون اموالهم خارج الاردن بالطرق « المشروعة » وغير المشروعة .

■ ٤ – زيادة الجمارك : ولقد زادت الحكومة الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة وبعضها اساسي مما انهك المستهلك العادي وخاصة ذوي الدخل المحدود .

تنظيف عمان

قال ناصر بن جميل لحسين قبل ايلول : « بعشرين الف قتيل سوف احول مدخل عمان الجنوبي الى حدائق عامة وجبل الحسين الى جنة وطريق المحطة الى اجمل طريق في العاصمة » ويقصد بذلك مسح المخيمات من عمان واقامة الحدائق العامة مكانها .

وقرار الحكومة الاردنية الجديد بازالة الخيمات تدريجيا بدءا بمخيم جسر المحطة (جسر النور) الذي تطل عليه القصور الملكية ما هو الا تنفيذا لوعد قطعه ناصر بن جميل للقصر الملكي ..

واخيرا لجأت السلطة العميلة الى وقف دفع ما يسمى باموال الصمود للضفة الغربية ، وهذه الاموال يطول الحديث عنها ، فالجزء الضئيل الذي يبقى منها ، بعد ان « ينهب » قسمها الاكبر على يد المسؤولين الذين اصبحوا من اصحاب العمارات في بيروت وعمان ، كان يدفع للزعماء التقليديين في الضفة الغربية الذين كانوا يقتطعون حصتهم من « اموال الصمود » ويوزعوا ما تبقى وغالبا لا يبقى شيء !

والقرار بوقف المعونات للضفة الغربية لن يساعد في حل الازمة المالية للاردن ولكن وصفي التل يشهر فلة السلاح من قبيل العرب النفطية والضغط على الكويت وليبيا اللتين اوقفتا المساعدات المالية للاردن بسبب موقف النظام من العمل الفدائي .

حادث

قرب السفارة البريطانية ، يوم الجمعة ٦/١٨ ، وفي الساعة التاسعة ليلا انفجرت حاملة رشاش ..٥ ملم بطاقمها ولم تعلن الاسباب ولقد طوقت المنطقة على اثر ذلك حتى الصباح وجرى تفتيش كل السيارات المارة في المنطقة !

البطالة

نتيجة للحالة الاقتصادية السيئة وعمليات « الترميج » التي تتم يوميا وعمليات طرد العمال كما حصل في مناجم الفوسفات (طرد اكثر من مئتي عامل من مناجم الفوسفات (العمل) وتوقف كل المشاريع تفشت البطالة مؤخرا ، مما جعل الاوضاع تسوء ويزداد التذمر بين اوساط المواطنين .

ولم تأت زيارة الحسن لفرنسا والمانيا الغربية الا من باب طرق الباب الاخير قبل انهيار الموقف ، فحكومة التل تعتقد ان اتمام الصفقة في فرنسا والمانيا لمشاريعها ذات الطابع ... الامد سوف يحسن من الوضع الاقتصادي ويعيد اليد العاملة العاطلة عن العمل ويحقق نوعا من الازدهار المؤقت الذي يمتص نقمة المواطنين التي ازدادت في الاونة الاخيرة .

● حكايات ناقلات النفط الاسرائيلية

من وادي الفيران في سيناء الى خرج في الخليج العربي

تقع حقول النفط المصرية في سيناء قرب محطة تدعى وادي الفيران ، وهي على الجانب الجنوبي شرقي لخليج السويس : وقد اعطي امتياز التنقيب على النفط لشركة « ايني » التي تملكها الحكومة الايطالية ، والتي من المحتمل ان تكون مساهمة على اساس ٥٠ بالمئة مع الحكومة المصرية ، ولكن بعد حرب حزيران ١٩٦٧، احتل الاسرائيليون حقول النفط ، ولاضفاء الشرعية على عملية القرصنة هذه اتفق الاسرائيليون مع شركة « ايني » ، بحيث تظل « ايني » بموجب الاتفاق ، تحصل على حصتها من العائدات . بكلام اخر ، بالنسبة لشركة « ايني » فان العملية هي تجارية محضة .

لقد بدأ الاسرائيليون بتشغيل ناقلة نفط واحدة تدعى « سامسون » ، وكانت تصل الى وادي الفيران مرة في كل سبعة ايام ، فالرحلة من ايلات الى وادي الفيران تتطلب يوما واحدة ، وتنقل « سامسون » النفط الخام الى ايلات لضخه عبر خط انابيب النفط القديم الذي كان هناك ، اما الان فان معظم الناقلات العاملة على خط ايلات – خرج (ايران) تقوم بين كل رحلتين الى هناك برحلة الى وادي الفيران .

وهذا يعني ان معظم الناقلات العاملة في ايلات تقوم برحلاتها كما يلي : ايلات – وادي الفيران – ايلات الى وادي الفيران تتطلب يوما واحدة ،

واذا ما جرى اي تبدل في هذه الرحلات ، فان خط التحرك يصبح كما يلي : ايلات – وادي الفيران – ايلات – وادي الفيران – ايلات – جزيرة خرج – ايلات .

ولكن هذا التبديل لا يتكرر كثيرا .

ان « سامسون » التي كانت اول من سـ... هذه الرحلات بعد ١٩٦٧ هي جزء من ثلاثة اساطيل تجارية يملكها الاسرائيليون ، ولكنها تدار من قبل الشركة البحرية ما وراء البحار ، في نيويورك ، « موك » (ام . او . سي) . والاساطيل الثلاثة هي :

● ١ – سفن الشحن ، شركة (ال يام) المحدودة .. ترفع العلم الاسرائيلي . وتشمل ١٢ سفينة ، اثنتين منها سفن مبردة ، لشحن السلع المبردة .

● ٢ – شركة ناقلات ما وراء البحار – ترفع العلم الليبيري .

● ٣ – شركة لوكنباخ لما وراء البحار – وترفع العلم الاميركي .

ويعمل الاسطول الاول بين الولايات المتحدة – المملكة المتحدة – اوروبا ، واسرائيل .

اما الاسطول الثاني فيعمل بين ايران (بلدان عربية ، الى اوروبا الغربية واسرائيل .

والاسطول الثالث يعمل بين الولايات المتحدة الساحل الشرقي والشرق الاقصى ، الفليبين فورموزا (تايوان) ، اليابان وجنوب فيتنام .

وقد لوحظ مؤخرا ازدياد كبير في عدد الناقلات البترولية العاملة على خط ايلات وظهرت فجأة ١٠ ناقلات جديدة على خط ايلات ، هي : كورال سي ، اوليمبيا ، شيرلي ليبرا ، ايدان ، ارجيس ، نورثرن سـ... ايريس ، هكسغرام ، بيسس . بالاضافة للناقلات العشر السابقة وهي : سامسون سيريس ، ليون ، اكوارفيس ، نورا ، بار... رونيز ، اتلانتيك ، توروس .

كلمة اخرى ان الذي يسكن الاردن يعيش حالة خانقة : فالمواد التموينية الاساسية لا يقدر على شرائها الا المقتدرون (احد الاسباب سوء الموسم الزراعي هذا العام) والرسوم الباهظة التي فرضت عليه تجعله غير قادر على ملاحقة حوله والضغط السياسي والارهاب القمعي تجعله غير قادر على التعبير عن رفضه لهذه الحالة الخانقة .

الحالة المعنوية

ان الوضع الطارىء الذي يتعرض له زائر عمان الذي تحدثنا عنه هو وضع دائم بعد ايلول في عمان وبقية مدن ومناطق الاردن بالنسبة لساكن هذه المناطق ، فالى جانب الضيق الاقتصادي الخانق الذي يعاني منه المواطنون في الاردن فانهم يتعرضون يوميا لحملة اذلال من قبل قوى القمع التي الى جانب الاساليب الفاشية المباشرة تمارس الاساليب البوليسية السرية والارهابية .

فالمواطن العادي الذي يغادر منزله كل صباح الساعة السابعة متوجها الى عمله يستعمل الحافلة (الباص) كي يصل الى مكان عمله او سيارة الركاب (سرفيس) . ودوما يصل الموظف متأخرا بسبب اجراءات « الامن » . فعلى كل مفرق من مفارق الطرق الرئيسية التي يجب على السيارات والحافلات ان تسلكها تقف الدوريات الالية المجهزة بمدافع رشاشة ..٥ ملم او ا – ٦ او ..٨ مع طاقمها المكون من اربعة جنود لكل سيارة ليدققوا في هويات الركاب وكانهم يغادرون بلدا ليدخلوا بلدا اخر ، وفي معظم الاحوال يتعرض الركاب لعملية تفتيش دقيقة لا ينجو منها السيدات ، وخلال هذه العملية وخاصة في المناطق الفقيرة يتعرض المواطنون للاهانة التي لا يستطيعون حيالها الا السكوت على مضض لان الكلمة تعني الضرب والاعتقال من جانب قوى القمع .

ومن اللاحظ ايضا ان السيارات التي تنجو من هذه الحملات هي السيارات الخاصة الفخمة التي يملكها اصحاب الاموال . وكان قوى القمع تعلم ان حلفاء النظام ينتمون لهذه الطبقة !

حملات المداهمة المستمرة

يتعرض المواطنون في المناطق الفقيرة (التاج – الوحدات – الاشرفية – مخيم الحسين الخ ..) لحملات مداهمة لبيوتهم ليلية ، ترعب اطفالهم بحجة التفتيش عن السلاح ، وكثيرا ما تعود قوى الارهاب والقمع بغنائم قوامها معتقلون بتهمة « التنظيم السري » او توزيع المناشير او اخفاء السلاح .

احتفالات النظام العميل

قامت في عمان سلسلة من المهرجانات والاحتفالات خلال الفترة الماضية دفعت السلطة خلالها الكثير من اموال الاقتصاد المنهار من اجل الايحاء بان الوضع قد استتب وان الناس في احتفالات دائمة . ولقد اجبرت الحكومة العميلة بعض النوادي التي لا تستطيع تحمل نفقات ادارتها اجبرتها على دعوة فرق رياضية من اجل اقامة مباريات لتلهي المواطنين ، وكانت معظم هذه المباريات فاشلة من ناحية اقبال الناس عليها .

محاولات نقل المخيمات

من المشاريع الرئيسية على جدول اعمال حكومة التل « تجميل » مدينة عمان بازالة مخيمات اللاجئين ونقلهم الى منطقتي وادي تحليل (حيث ملكت الدولة وصفي التل قبل ايلول اراض شاسعة دون مقابل وسلفته مبالغ من المال لزراعتها !) والازرق .

ولقد بدأت السلطة بهدم اكواخ اللاجئين في مخيم المحطة بحجة اوامر بلدية عمان لتحسين مناظر المنطقة (تطل الاراضي الملكية على هذه المناطق الفقيرة) .

وتمت اجراءات الهدم بعد توجيه انذار اخلاء لمدة اربعة وعشرين ساعة ، ولقد قابل وفد من اهالي المخيم وصفي التل شاكيا له هذه الاجراءات فكان جوابه : « .. اذهبوا الى حيث اتيتم » !

رأي الجماهير

ان الوضع الاقتصادي السيء الذي تعاني منه جماهيرنا في الاردن وممارسات السلطة بقصد الاذلال وتركيع الجماهير واستمرار حملات الارهاب جعلت الوضع الجماهيري في الاردن وضعا متفجرا يحتاج الى قيادة تنظمه ، ان النضال السياسي الذي يجند الجماهير ويقودها في معركتها ضد النظام العميل هو ضرورة في هذه المرحلة في حياة اردننا الصامد .

ان اي نضال سياسي يجب ان يقوم على اساس جبهة وطنية تلتزم ببرنامج يعبر عن رغبات الجماهير وامانيها في التحرير والتخلص من الاستغلال والاضطهاد والذل .

ان غياب مثل هذه الجبهة الوطنية القائدة للجماهير والمدافعة عن حقوقها يتيح للنظام ان يزيد من غطرسته وبطشه والاستخفاف بقيمة الانسان . ومن المهمات العاجلة لمثل هذه الجبهة الوطنية :

١ – رأب الصدع الذي سببه النظام وغذاه بين الفلسطيني والاردني . فان اخطر مشكلة تواجه العمل الوطني في الاردن هو التفرقة البغيضة بين ابناء فلسطين وابناء الاردن ، هذه التفرقة التي اعتمد عليها النظام في خلق جماهيرته . ويجب الاعتراف هنا بان النظام الاردني ولاول مرة في تاريخه يعتمد على قاعدة « جماهيرية » يغذيها بالامتياز اولا وبالحقد والدس الرخيص من اجل التفرقة بين ابناء فلسطين وابناء الضفة الشرقية .

٢ – ان المهمة الاساسية الثانية التي يجب على الجبهة الوطنية ان تتصدى لها هي التوعية السياسية للجماهير ولافراد الجيش الذي تعرض خلال الفترة السابقة لعمليات غسل الادمغة لبث الحقد على الفدائيين بين صفوفه .

ان افراد هذا الجيش هم من ابناء الاردن ، والتناقض الذي فرضه النظام العميل بين الثوار وافراد الجيش يضع ابناء الشعب في مواجهة بعضهم . ان خصوصية الجيش الاردني من حيث كونه مؤسسة عسكرية واقتصادية عشائرية يجعل هذه المهمة من اصعب المهام ولكنها مهمة نضالية سيكون من نتائجها ان يملك الجندي الوعي السياسي الذي يجعله يحسم هذا التناقض لصالح الثورة ضد النظام العميل .

٣ – ان المهمة الثالثة الرئيسية امام الجبهة الوطنية هي تجنيد طاقات الجماهير من اجل معركة التحرير وان لا طريق للتحرير الا حرب التحرير الشعبية .

ان التصدي لمحاولة فرض الحلول السلمية هي مهمة اساسية في هذه الفترة بالذات لان النظام العميل يسير بخطى حثيثة نحو ابرام الحل الاستسلامي .

٤ – ان المهمة الرابعة الرئيسية المطروحة امام الجبهة الوطنية هي الارتباط العضوي بالثورة الفلسطينية ودعمها واعطاءها المد الجماهيري وذلك عبر الارتباط ببرامج الثورة الاستراتيجية .

تصفية عملاء السلطة

خلال الاسبوعين الماضيين تم تصفية اربعة عملاء للسلطة الرجعية في الاردن وذلك في مخيم الحسين . ولقد انزعجت السلطة بسبب هذه العمليات لان مثل هذه العمليات تذكرها بالوضع الثوري القائم في غزة ، واعتبرت ان هذه العمليات ظاهرة خطرة سوف ترهب ضعاف النفوس وتمنعهم عن التعاون مع السلطة الرجعية.

وحدة العمل الفدائي واثرها

ان اي عمل سياسي في الساحة الاردنية لن يكون له فاعلية وتأثير دون ان يترافق مع خطوات حقيقية نحو وحدة العمل الفدائي .

ان الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة الفلسطينية الرئيسية هي حجر الزاوية لاي نضال في الساحة الاردنية . فان تأثير قيام الجبهة الوطنية في الساحة الاردنية على الثورة الفلسطينية هو كتأثير وحدة فصائل الثورة الفلسطينية على قيام الجبهة الوطنية في الاردن .

ان الفصائل الاساسية للثورة الفلسطينية مطالبة الان اكثر من اي وقت مضى ان تخطوا خطوات حقيقية على صعيد الوحدة الوطنية .

ان وحدة الثوار وتلاحمهم في جبال الاردن هي الدليل على ان الجبهة الوطنية القائمة على اساس برنامج سياسي واضح يضع امام حركة المقاومة مهماتها الاساسية وامام مسؤولية وضع البرامج التنفيذية لها يرافقها برنامج تنظيمي يضمن تنفيذ البرامج السياسية والسير بها نحو النهاية المنتصرة .

ان المثل الذي ضربه لنا ثوارنا في جبال عجلون والسلط وجرش والحالة المذلة التي تعيشها جماهيرنا في الاردن هي حوافز لفصائل الثورة الفلسطينية الرئيسية على ان تجعل من المجلس الوطني القادم خطوة للامام .

ان مقاتلي فتح والجبهة الشعبية الذين استبسلوا في التصدي لهجمة النظام العميل على قواعد المقاتلين في الجبال يقدمون واقعيا دليلا قويا ليس فقط على رغبة القواعد في هذه الوحدة ولكن ايضا القدرة على بنائها .

واخيرا ان تأثير وحدة فصائل حركة المقاومة سيتعدى العمل في الساحة الاردنية الى الوضع في الوطن العربي . وكما ان ايلول كان مسببا لموجة من الانحسار والتشاؤم فان وحدة فصائل الثورة الفلسطينية على اساس البرنامج السياسي والتنظيمي الواضحين والضامنين لمسيرة الثورة ستكون سببا في مد ثوري يتصدى للمد الرجعي اليميني والهجمة الامبريالية على الاوضاع الثورية العربية .

بسام معايطة